

إرجاع اللغات إلى حجر أمها (العربية)

قراءة لكتاب Arabic to Back Traced Sanskrit

Sheikh Mohamed Ahmed Mozhar

د. إسحاق الأمين •

مستخلص البحث:

حل القرن التاسع عشر وقد أحكمت أوروبا مسارات تقدمها المادي في مجالات شتى، وأنشئ مزيد من الجامعات ومراكز البحوث في عدة بلدان. وتكونت جماعات من العلماء والباحثين وكان لعلوم اللغة نصيب وافر من هذا الحراك وفي أجواء الازدهار المعرفي، وتأثير نظرية التطور وأشواق الرجعة الرومانسية التي صبغت هذا القرن في آدابه وفنونه أخذ علماء اللغة يتحررون من

• الخبير السابق بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- والأستاذ بالجامعات السودانية .

إرجاع اللغات إلى حجراتها (العربية) قراءة في كتاب د. إسحق الأمين

التأملات ذات الطابع الفلسفي في اللغة وأوضاعها المتحدرة إليهم من التراث اليوناني وأخذوا ينصرفون إلى تاريخ اللغات ساعين إلى فهم الصلة بين السنة البشر وإلى كفيات تأثيرها وتأثيرها في بعضها البعض ، مستعينين بوجه خاص بعلم الأصوات الذي حقق ازدهاراً حينئذ ، فأمكن إحكام دراسة اللغة وأنظمتها بإجراء المقارنة بين اللغات المختلفة لمعرفة الكيفية التي تجلى بها النقل والتأثير من لغة إلى أخرى .

ويعرف طلاب اللغويات أسماء لأفذاذ لغويي تلك المرحلة (Grim) - (Whitney - Bubb Brugmann Max Muller) وغيرهم ، وكان غالب عنايتهم باللغات السلافية والجيرمانية وهي اللغات المتاحة للبحث حينئذ ومازالوا يتحرون مسارات التأثير والتأثر من لغة لأخرى في محاولة مضمنة لاكتشاف تاريخ اللغات واشتقاقها هذه من تلك وصولاً إلى اللغة الأولى- المصدر الذي تفرعت عنه اللغات.

في عام ١٧٨٦ كان الاكتشاف الداوي لعلاقة اللغة السنسكريتية باللغات الأوروبية الكبرى على يد القاضي البريطاني السير ويليام جونز الذي كان يعمل لشركة الهند الشرقية ويشار لهذا الكشف بأنه الذي بدأ به علم اللغة المعاصر . وفي الواقع لم يكن السير ويليام جونز أول من نبه إلى الصلة القائمة بين اللغة السنسكريتية واللغات الأوروبية فقد كانت ثمة إشارات بدرت من قبل يذكر في صدها الألماني Schulze والفرنسي Piere Coeurgoux لكنها لم تكن تعدو ملاحظات عابرة لم تحظ حينها بأكبر اهتمام .

قدم السير ويليام جونز بحثه من منبر الجمعية الآسيوية الملكية Royal Asiatic Society في مدينة كلكتا بالهند متناولاً بنية اللغة

السنسكريتية مقارنة باللغتين اليونانية واللاتينية مؤكداً قوة الصلة بين هذه اللغات بما لا يدع مجالاً للشك في أنها ليست راجعة لمحض الصدفة بل لعلاقة عضوية راسخة بين تلك اللغات ، ويرجح السير ويليام جونز أن اللغات المذكورة جميعها ربما تكون نابعة من أصل واحد يرجح أنه اندثر .

في أعقاب بحث السير جونز أكتبت مراكز البحث اللغوي في أوروبا باحثة عن الصلة بين تلك اللغات و كيفية التأثير الذي تم في مراحل مختلفة ، وكان الرأي وقتها استقر على أن السنسكريتية، في ضوء بنيتها الرحبة، هي اللغة الأولى التي انبثقت عنها لغات العالم ، وظل هذا الاعتقاد سائداً يهيمن على أجواء البحث التاريخي في اللغات . في هذا الأوان صُك اصطلاح (اللغات الهندية الأوربية) الذي ما زال سائداً إلى اليوم ذلك رغم الإشارة الواردة في بحث السير ويليام جونز " ... سيدرك الباحثون أن السنسكريتية واليونانية واللاتينية جميعها نشأت من أصل واحد ربما أنه اندثر " " ... them to have believe ... " " common source which, perhaps , no longer exists some sprung from

راج في عرف البحث التاريخي استبعاد العلاقة بين لغة ثنائية الجذر (اللغات الجيرمانية مثلاً) وأخرى سامية (ثلاثية الجذر) . لا يبدو من سياق أطروحة الشيخ مظهر أنه يعارض هذا التقرير الذي رسخ في أدبيات البحث اللغوي بل يذهب من جهة أخرى ليدلل على أن الجذر الثنائي في اللغات هو في الواقع جذر ثلاثي - في أصله - سقط منهم بفعل عوامل معينة أحد عناصره الثلاثة ، وتأثير العوامل - بيئية وجغرافية واجتماعية مما تقره مناهج البحث في علوم اللغة . ولنا في العاميات العربية اليوم أمثلة ونماذج تغني عن الشرح . ويمكن التدليل على هذه الفرضية في ضوء اتساق المنهجية التي اتبعها المؤلف

لإعادة بناء المفردة ثنائية الجذر بإرجاعها إلى أصلها الثلاثي ، بل نجد لها سنداً قوياً في إشارة باللغة الأهمية للعالم اللغوي سوسير وهو رغم شهرته الفارطة باعتباره مؤسساً للبنوية فهو قد تربي في أحضان علم اللغة التاريخي والمقارن وتخرج في مركز إشعاع هذا العلم جامعة (لايبزج) برسالته للدكتوراة في حالات الإضافة في اللغة السنسكريتية وله في بعض بحوثه آراء انفراد بها عن التفكير السائد في أوساط علماء اللغة منها: أن هناك صوتاً أو أصوات حنجرية سقطت عبر الزمن من نظام السنسكريتية أطلق عليها مجتمعة (مُعامل الصوت /a/ و، المقصود به الصوت المجهور المرقق الصادر من أقصى الحلق /ء/ وهو رأي صادف قبولاً لدى علماء الساميات لاحقاً بالنظر إلى أطروحة الشيخ مظهر فهي تسير في الاتجاه ذاته بافتراض (الحروف) السواقط بل تمضي خطوة أخرى لتقوم بتعيين هذه (الحروف) وهي حصرياً (ع - ح - أ - و - ي) ولنا أن نفترض أن هذه الأصوات هي متعلقات /a/ في بيئات صوتية مختلفة بحسب سوسير وعلماء الساميات ، وفي عمل ، عسى أن يعتبر فتحاً في منهجية علم اللغة التاريخي ، أمكن للشيخ إدخال هذه (الحروف) في مواقعها من مقاطع الكلمات السنسكريتية أن يستعيد قوام الكلمة العربية الأصل وفق قواعد أهمها :-

- إسقاط السوابق prefixes واللواحق suffixes من الكلمة من السنسكريتية .
- إسقاط حروف العلة لتخلص لمقارنة الحروف (الأصوات) الصحاح .
- مراعاة ظواهر (مألوفة في البحث التاريخي والمقارن) تتعلق بإبدال (الحروف) بعضها ببعض .

إرجاع اللغات إلى حجر أمها (العربية) قراءة في كتاب د. إسحق الأمين

- بجانب (الإبدال) تعرض للمفردة ظواهر أخرى مثل قلب ترتيب الحروف بين اللغة والأخرى . عبر هذه التطبيقات التي يسميها المؤلف (معادلات Formulas) يقوم بإدخال الأصوات الخمسة (المائعة delicate كما يسميها) في الهيكل الصامت للمفردة بحسب قابلية المقطع العربي ، ونورد أدناه أمثلة لهذا التطبيق عبر جذور الكلمة السنسكريتية .

إسقاط السوابق واللواحق (أمثلة) :

حسم SM (Putting an end) ANA – SAM

بها BH (brilliant) KA – KIGI – BAHA

أبد BD (lasting) KA – ABDI

عبر BR (bringing over to the other side) A – PARA

قال GL (not saying) PAT – GAL – A

عمق MG (not sinking) AN – AMAG

شك SK (unhesitating) MASA – SAGGA – A

معامل مفترض للصوت /a/ :

(أمثله لإدخال الأصوات (الحروف) ع – ح – ا – و – ي)

إرجاع اللغات إلى حجراًمها (العربية) قراءة في كتاب د. إسحق الأمين

يشار إلى أن هذا الإدخال يجري تطبيقه في مواضع مختلفة من المفردة السنسكريتية وبحسب هيئة المقطع العربي ولكن للتبسيط وتسهيل المتابعة نقتصر على أمثلة لها في المواقع الابتدائية دون غيرها ، وغني عن القول أن مصطلح (حرف) في استعمال المؤلف إنما يشير به إلى الأصوات في والتزمنا في هذا العرض خيار المؤلف .

أمثلة لإلحاق الحرف (ع) بالموقع الابتدائي :

عطب = TB + ع ، TB (hurt) (TUBH)

عتم = TM + ع ، TM (dark) (TAMA)

عمق = MG + ع ، MG (immersion) (MAGGA)

عقل = KL + ع ، KL (Ander stand) (A-KALA-NA)

عرف = BH + ع ، BH (good odour) (RABH)

أمثله لإلحاق الحرف ا بالموقع الابتدائي

ابد = PD (no abode) (PADA)

آخر = K=KH (last) (KARA)

اسر = SR (protection) (SAR-MAN)

إلحاق الحرف (ح) بالمواقع الابتدائية :

حمد = MD + ح ، MD (reward) (MEDHA)

حذر = +ZR ح ، ZR (watchful) (GRI)

حسم = +SM ح ، SM (putting end to) (SAM)

إلحاق الحرف (و) – موقع الابتدائي:

وتر = +TR و ، TR (musical instrument) (TUR)

وبل = +BL و ، BL (heavy rain) (BALA)

وتد = +TD و ، DD (stick) (DANON)

إلحاق الحرف (ي) بالموقع الابتدائي :

يقط = +GZ ي ، YGZ (awoke) (JAGAD-VAN)

يرق = +rk ي ، PALE (RAK – TA)

ينع = +NA ي ، NA (ripening) (POKI – NA – MIN)

ويمضي المؤلف علي هذا النسق من مقابلة الحروف والمقارنة في ضوء المعادلات التي وصفها إطاراً لإثبات اشتقاق السنسكريتية من اللغة العربية ، واقتصرنا في هذا العرض علي أمثلة قليلة لإدخالات الحروف البدائل ما عسى أن يكون المعامل المفترض للصوت /a/ في المواقع الابتدائية وحدها وقد أفاض المؤلف في إيراد أمثلة من مواقع وسيطة ونهائية تكسب الأطروحة اتساقاً محكماً في الفكرة عبر هيئة المفردة في اللغتين ومن نافلة القول أن نذكر أن إثبات كون العربية هي مصدر اللغة السنسكريتية التي تضافرت آراء علماء اللغة على أنها مصدر لغات البشر يعني أن العربية هي مصدر اللغات جميعها ومنها اشتقت

إرجاع اللغات إلى حجر أمها (العربية) قراءة في كتاب د. إسحق الأمين

السنة البشر من لدن خلق الإنسان علمه البيان ، وانداح الخلق في البرية متباعدين بأحوالهم المستجدة وبيئاتهم وظروف اجتماعهم فنشأ من ثم هذا الاختلاف والتباين في اللغات الذي نراه اليوم .

جدير بالذكر أن هذه الأطروحة بنتائجها التي تبدو حاسمة من واقع التطبيق قد حظيت بالإشادة والتقريظ من طرف جهات عديدة ، وهي إذ تخيرت معجم اللغتين للمقابلة عبر خطة استغرقت نحواً من عشرين عاماً في عمل علمي دؤوب ونرجو أن يليها جهد علمي مماثل لمقارنة الأبنية والتراكيب في اللغتين لتكتمل ملامح الصورة .

من باب إطراء جهود باحثين آخرين توافروا على الفكرة ذاتها نذكر أعمالاً للأساتذة علي فهمي خشيم في سلسلة مؤلفاته وأشهرها (رحلة الكلمات) وعبد الحق فاضل في مدونته بعنوان (فضل اللغة العربية على الحضارة الإنسانية) وبلقريز عبد الجليل في مؤلف ضخيم صادر بالدار البيضاء ١٩٩١ وهي أبحاث في عمومها تقوم على دقة الملاحظة وبراعة الربط والتحليل مع معرفه حسنة بعلم الصوتيات وتاريخ اللغات إلا أنها لا تصدر عن نظرية متكاملة الجوانب شأن أطروحة الشيخ محمد أحمد مظهر .

ومن البداية أن القارئ سيدرك أن جهة المقابلة في جميع الأعمال المذكورة هي اشتقاق لغة من أخرى من حيث الأصول وليس من باب الكلمات المستعارة من لغة لأخرى فهذا مبحث آخر .

عرض الرسائل العلمية

